

باب المراقبة:

قال الله تعالى: ﴿ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ [الشعراء: 218، 219]، وقال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ [الحديد: 4]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [آل عمران: 5]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر: 14]، وقال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [غافر: 19]، والآيات في الباب كثيرة معلومة.

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله:

لما ذكر المؤلف - رحمه الله - باب الصدق، وذكر الآيات والأحاديث الواردة في ذلك أعقب هذا باب المراقبة.

المراقبة لها وجهان:

الوجه الأول: أن تراقب الله عز وجل.

والوجه الثاني: أن الله تعالى رقيب عليك؛ كما قال تعالى: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴾ [الأحزاب: 52].

أما مراقبتك لله فإن تعلم أن الله تعالى يعلم كل ما تقوم به من أقوال وأفعال واعتقادات؛ كما قال الله تعالى: ﴿ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ [الشعراء: 218، 219]؛ يراك حين تقوم؛ أي: في الليل حين يقوم الإنسان في مكان خال لا يطلع عليه أحد، فالله سبحانه وتعالى يراه، حتى ولو كان في أعظم ظلمة وأحلك ظلمة؛ فإن الله تعالى يراه.

وقوله: ﴿ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾؛ أي: وأنت تتقلب في الذين يسجدون في هذه الساعة؛ يعني: تقلبك فيهم؛ أي: معهم، فإن الله سبحانه وتعالى يرى الإنسان حين قيامه وحين سجوده.

وذكر القيام والسجود؛ لأن القيام في الصلاة أشرف من السجود بذكره، والسجود أفضل من القيام بهيئته.

أما كون القيام أفضل من السجود بذكره؛ فلأن الذكر المشروع في القيام هو قراءة القرآن، والقرآن أفضل الكلام.

أما السجود فهو أشرف من القيام بهيئته؛ لأن الإنسان الساجد أقرب ما يكون من ربه عز وجل، كما ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ» [أخرجه مسلم (482)].

ولهذا أمرنا أن نكثر من الدعاء في السجود، كذلك من مراقبتك لله، أن تعلم أن الله يسمعك، فأبى قول تقوله؛ فإن الله تعالى يسمعك؛ كما قال الله: ﴿ أَمْ

يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿ [الزخرف: 80]؛ بلي: يعني: نسمع ذلك.

وقال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ [الحديد: 4]
الله سبحانه وتعالى مع الخلق بعلمه. و هو مستو على عرشه.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [آل عمران: 5]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لِبَالِمِرْصَادٍ ﴾ [الفجر: 14]، وقال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [غافر: 19]، والآيات في الباب كثيرة معلومة.